هذا والجدير بالذكر أن هناك من ادّعى بعجز البشر عن معرفة الوجود الأعلى فترك البحث عن صفات الله ، ونهى عن ذلك ، وهؤلاء يُطلق عليهم بـ(المعطلة)، لأنهم أرادوا أن يحرموا الإنسان من المعارف السامية التي أرشد إليها القرآن والسُنة والعقل .

كما أن هناك حقيقة لا بُد أن نطرحها وهي : أنه لو كان البحث والتقصي والنقاش حول هذه المعارف الإلهية ممنوعاً حقاً ، لكان ذكر تلك الصفات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، والأمر بالتدبر فيها يصبح غير ضروري وممنوعاً، حاشا لله أن تكون صفاته بهذا الشكل.

وهنا يجب أن نقول مع بالغ الأسف: أن هذا الفريق قد أغلق على نفسه باب المعرفة وبذلك وقع نتيجة لتعطيل البحث العلمي في ورطة تجسيم الله تعالى وتشبيهه وإثبات الجهة له سبحانه .

(المطلب الثالث)

دروس من صفات الله تعالى

علينا أن نجعل دراستنا لصفات الله تعالى قائمة على أساس من الإدراك والوعي وعمق النظر لمعرفة قيمة المعاني التوحيدية وأثرها في حياتنا وسلوكنا، فمعرفتنا بالأسماء والصفات الحُسنى يجب أن نجعلها منهج حياة ونجسد فهمنا لها إيماناً بها وسلوكاً فنجعل حياتنا ظلاً لهذهِ الأسماء والصفات ، وقد أكد الرسول على ذلك فقال (صلى الله عليه وآله وصحبه) : ((تخلقوا بأخلاق الله)) .

فمن الدروس التي ينبغي أن نستفيد منها :

١. التعريف بالله الذي نؤمن بوجوده ونعبده في كل تصرفاتنا .
٢. معرفة الإنسان المُنتسب لله حقيقة وتمييزه عن غيره .
٣. التأسي والاقتداء بالله في العديد من صفاته منها :

أ. الرحمن الرحيم : حيث يجدر بنا أن نستشعر الرحمة ونمنحها للآخرين .
ب. الرب : فنقوم بدور التربية والتقويم للآخرين .
ج. الحكيم : فلا نُصدر حُكماً إلا عن معرفة وهدف .
د. العلم : فنحث النفس على طلب العلم وتعليمه .

هـ. الصادق : فلا نكذب في أقوالنا وأفعالنا .

و. الكريم : فلا نبخل مع القدرة على الإنفاق والحاجة إليه .

ز. العادل : فلا نظلم الآخرين كما لا نظلم أنفسنا .

٤. الشعور بالمسؤولية في القيام بالأعمال لأن الله سميع بصير فهو معنا يُراقب عملنا.

٥. الشعور بالقوة والاطمئنان لأن الله هو الواحد الأحد الكبير المتعال الذي بيده القوة والمُلك والعِزة والنصر .

(المطلب الرابع)

أقسام الصفات الإلهية

يُعد مبحث الصفات الإلهية من المباحث ذات الأهمية البالغة في بحوث التوحيد الإلهي، نظراً لاختلاف الرؤى بين المذاهب والاتجاهات الفكرية حول هذا المبحث .

إلا أن كلمة الموحدين اتفقت على أنه سبحانه مصدر كل كمال بل هو عين الكمال ولا يتطرق إليه النقص سبحانه .

وصفات الله تعالى تعني المعاني والمضامين التي يُشار بها إلى الذات الإلهية إثباتاً أو نفياً.

أما من حيث تقسيمها ، فقد توسع العلماء بالتفصيل في تقسيماتها وكلٌ يُقسمها بحسب النظر إليها وزيادة في تحقيق إثباتها ، أو زيادة المعرفة بها.

وأقسامها على وجه التفصيل كالآتي :

أولاً / الصفة النفسية : وهي وجود الله عز وجل . وقد عرّفها سعد الدين التفتازاني بأنها : صفة ثبوتية ، يدلُ الوصف بها على نفس الذات ، دون معنى زائد عليها .

شرح التعريف :

صفة : جنس يدخل فيه سائر الصفات .

ثبوتية : نسبة إلى الثبوت ، لكونها ثابتة في الذهن ، فتخرج الصفات السلبية كالقدم والبقاء .

بها : أي بالمشتق منها ، لا بها بنفسها ، لعدم صحة ذلك ، فنقول الله موجود ، ولا

نقول : الله وجود .

على نفس الذات : أي أنها لا تدل على شيء زائد على الذات ، فالذات نفسها لا تتعقل إلا بوجودها ، ولذلك سُميت نفسية .

دون معنى زائد عليها : تفسير للقول (على نفس الذات) .

ووجود الله تعالى وجود كامل ذاتي ، أي : أنه لا يقبل العدم .

أما وجود غيره (كل ما سوى الله تعالى) فهو وجود ناقص تبعي ، أي : أنه مُستمد من غيره ، ومُتوقف على من أوجده ، لأن من خصائص التبعي : أنه لا بد أن يقوم بين عدمين سابق ولاحق .

ومسألة وجود الله تعالى سبق الكلام عنها مُفصلاً في المباحث السابقة .

ثانياً / الصفات الثبوتية (صفات المعاني) .

فهي الإشارة إلى صفات الجمال والكمال التي تتصف بها الذات الإلهية ويُعبر عنها بالصفات الجمالية والكمالية، أي التي تتجمل وتتكرم بها الذات الإلهية ، كما يُعبر عنها بصفات المعاني، ومع كونها معانٍ، أن لكل صفة منها معنى وجودي قائم بذات الله تعالى، فالصفات الثبوتية مرجعها ومردها جميعاً إلى إثبات الكمال لله تعالى .

وقد قسم المتكلمون الصفات الثبوتية إلى قسمين هما :

١. **الصفات الذاتية :** هي الصفات الثابت تحققها للذات الإلهية المُتعالية المُنزهة عن العيوب والتي هي كمال مطلق كما هو معلوم . وهي معانٍ داله على الذات الإلهية بالنظر إلى أنها واحدة لنوع من أنواع الكمالات ، أمثال الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر .

٢. **الصفات الفعلية :** هي الصفات الثابت تحققها للذات الإلهية المتعالية المنزهة عن العيوب ، وهي مفاهيم تخصص من نوع العلاقة والارتباط بين الله تعالى ومخلوقاته، أو هي الصفات غير المُنتزعة من مقام الذات وإنما هي الصفات المُنتزعة من مقام الفعل ، والمُضافة إلى غيره لتأثيره تعالى في ذلك المضاف تأثيراً يوجب نسبة الفعل إليه تعالى مثل : الخالقية ، فلا بد من وجود مخلوق حتى نقول بالخالق ، وكذا في الرازقية ، فلا بد من وجود مرزوق ، وكذا في غافر وراحم ومُحيي وباعث ..... وهكذا .